سول بيللو

الناطق باسم الواقعية الأمريكية

منذ حصوله على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٦، وربما منذ وقت إصداره روايته «مغامرات أوغي مارتش» (١٩٥٣)، أصبح الكاتب الأمريكي الراحل سول بيللو (١٩١٥ـ٢٠٠٥) الناطق الأبرز باسم الواقعية الأمريكية بعد وليام فوكنر، فلا أحد يضاهيه في رسم صورة الحياة الأمريكية المتأزمة، سوى ذلك الكاتب الأمريكي الجنوبي الذي كثيرا ما يقرن اسمه باسم بيللو الذي حمله أبواه، وهو لم يزل رضيعاً، قاطعين الحدود بين كندا وأمريكا، حيث استقرت العائلة في شيكاغو، مسرح روايات بيللو وقصصه.

يرى بيللو أن على الكاتب الحقيقي في هذا الزمان أن ينفذ إلى أعماق الإنسان المعاصر حين يرسم شخصياته، ويصور المجاهل النفسية القابعة في أعماقها، بدل الالتفات المبالغ فيه إلى الشرط الاجتماعي الذي تعيشه هذه الشخصيات. ومن هنا، فإن الموضوعات الرئيسية التي تعالجها رواياته، وكذلك مسرحياته وقصصه، أضف إلى ذلك مقالاته التي تشبه مقاطع غير مكتملة من رواياته وقصصه، تدور حول تمزقات الحياة الغربية المعاصرة، والاضطراب والضياع والشعور بعدم الراحة التي يشعر بها الإنسان الحديث. وهو يشدد على شروط الذكاء الشخصي والفردية والكرامة الإنسانية ضد المادية الراهنة التي تحط من شعور الفرد بإنسانيته.

الشخصية الرئيسية في عمل سول بيللو، هي شخصية الإنسان الهامشي الذي يحس باغترابه عن العالم، وكونه عالقا بين النقص الفعلي في شخصيته والنقص الذي يسبغه عليه المجتمع والأصدقاء. إن شخصياته تتمتع بالذكاء الميتافيزيقي، والقدرة الخارقة على اللعب بالكلمات، والحدس الفلسفي، لكنها في الوقت نفسه تشعر بالتعاسة الغامرة المرعبة التي تشدها من كل جانب. إن أبطاله، أوغي مارتش وهندرسون وهيرتزوغ، خشنو الطابع، يتصرفون في العادة بفظاظة صادمة؛ ويقول نقاده إن الشخصيات التي يحتشد بها عمله هي انعكاسات لشخصه، وتربيته اليهودية في شيكاغو، حيث تتقاطع حياته مع فنه بصورة لا تخطئها العين. وكما يقول الناقد الأمريكي إرفنغ هاو، فإن «أسلوب بيللو هو مزيج من التبجح الثقافي ولغة الشارع التي تعكس أصول الكاتب وتربيته اليهودية». إنه ماهر في تصوير الشخصيات، يستمد من حياته قطعا باهرة من الفوضى التي لازمته طوال عمره بعد خمس

زيجات جعلت علاقته بأبنائه معقدة غير سعيدة.

الثيمات الأساسية في عمل بيللو واضحة منذ روايته الأولى «الرجل العالق» The Dangling Man (1944)، تلك الرواية الكافكاوية المزاج والمبنية بصورة جزئية على التجربة الحياتية للمؤلف. إنها يوميات شاب ينتظر دخول الجيش خلال الحرب العالمية الثانية، حيث يترك جوزيف عمله، ويقرر الركون إلى الراحة والانشغال بالقراءة قبل أن يلتحق بالجيش، ويختبر جحيم تجربة الحرب. لكن تلك الراحة المخطط لها تتحول إلى رحلة نحو عالم اللافعل واللامعنى، فيبدأ بطل بيللو بفحص قيم الصداقة ومعنى العائلة والحياة. وبعد شهور من حالة التبطل التي يعيشها جوزيف، يقرر الالتحاق بصورة نهائية بالجيش بسبب تحول عيشه اليومي إلى مجرد عبث لا معنى له، وتكرار لا طائل من ورائه.

«الضحية» (1947) تشبه الرواية السابقة في عوالمها، وطبائع شخصياتها، ولكنها تفترق عنها في التركيز على الشكل، ومحاولة ابتداع لغة مقتصدة، تذهب إلى هدفها دون مواربة، ودون دوران حول المعنى الذي تسعى إلى تأكيده. في هذه الرواية، التي تروي حياة شخص يهودي ينوء تحت ثقل مسؤولياته العائلية والإنسانية، ويواجه كراهية اليهود في مجتمعه بإحساس الضحية، يرسم بيللو صورة موحشة كئيبة لغياب المنطق في الحياة الإنسانية المعاصرة، للموت والأسى، ومحاولة الإنسان التأقلم مع شرطه الوجودي وقبول إحساس الضحية.

البداية الحقيقية لبيللو في عالم الرواية تتمثل في «مغامرات أوغي مارتش» (1953)، التي يمكن القول إنها صنعت اسمه في الأدب الأمريكي. رواية بيكاريسكية تنتمي إلى عالم الروايات الكبرى في تاريخ النوع بدءاً من «دون كيشوت» لسيرفانتيس، وهي تعلن عن نفسها في السطور الأولى بلغة عامية تذكر باندفاعات موسيقى الجاز: «أنا أمريكي، في شيكاغو ولدت ـ شيكاغو، تلك المدينة الكئيبة ـ أندفع باتجاه الأشياء كما علّمت نفسي، بأسلوب حر، وسوف أحقق ذاتي بطريقتي: أول من يقرع وأول من يدخل: لغايات بريئة أحيانا، وغير بريئة أحيانا أخرى». بتلك الجمل الحادة المقتصدة الخالية من البلاغة يحكي بيللو حكاية صبي من أبناء شيكاغو ولد لأم معاقة. يحيا أوغي مارتش حياة أمريكية بريئة مندفعة، وسعادة غامرة، غير عابئ بما حوله من مشكلات وصعوبات في وسطه العائلي، أو في مدينته التي تطحن الإنسان وتدمر براءته، خصوصا أن أوغي مولود لعائلة يهودية، وهو يضطر لتقلب الأحوال من حوله في أمريكا الأربعينيات أن يكسب عيشه بطرق مختلفة، ويواجه ضاحكاً كل ما تعرضه عليه الحياة الأمريكية في تلك الحقبة التي شهدت الحرب العالمية الثانية، بما في ذلك من انتشار للدعارة، ولجوء الفتيات إلى الإجهاض والتلاعب والفساد السياسيين، والسوق السوداء، والانحراف الجنسي.

تتضح لنا شخصية الإنسان الهامشي أكثر فأكثر في رواية بيللو «عش يومك» (1956) Seize the Day (التي نترجم هنا بضع صفحات منها تمثيلا على عمل بيللو). «عش يومك» تحكي عن رجل في منتصف العمر يدعى تومي ويلهيلم يدفع دفعا ليشهد بنفسه افتقاد الطريق ولا معنى الحياة، وكونه شخصاً فاشلاً لا نفع فيه كما يراه أبوه. ولكي يسقط ويلهيلم هذه التهمة عن نفسه، يقرر أن يعيش حياة مستقلة ويحقق ما يعتقد أنه يغير وجهة نظر أبيه عنه، فيسعى من ثمّ لكي يصبح غنيا يمتلك الكثير من المال. لكنه خلال رحلته إلى حياة الغنى يتبين تفاهة المال، ولا جدوى الطريق التي اختارها ليرضي أباه. إنه يتوصل إلى أن جمال الحياة الإنسانية يكمن في الصلاة على ميت غريب صادفه في الطريق، لا في الجري وراء المال، أو في الصراع الوحشي الدائر بين البشر للاستئثار بمقتنيات الحياة المادية.

«هندرسون ملك المطر» (1959)، تتخذ من حياة رجال الأعمال وأصحاب الملايين مادة للتأمل في

الحياة الأولى البسيطة العارية من كل زخرف. إن المليونير يوجين هندرسون يشد الرحال إلى إفريقيا ليكون قريبا من مسقط رأس البشرية، ملتصقاً بالطبيعة البكر، ناسياً صراع البشر حول المال والثروة. إنها فانتازيا تصور تآكل الروح الإنسانية في عالم أمريكا الصاعدة نحو الهيمنة في زمن ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومحاولة بطلها الابتعاد ما أمكنه عن تلك الغابة البشرية التي يسودها الصراع والرغبة المحمومة في الكسب، وصولاً إلى قدر من التطهر الروحي عبر الاتصال بالطبيعة القريبة من خطوات الإنسان الأولى. ويقر هندرسون، بعد أن يتعرف على القوة البدائية التي يمتلكها الأسد وكذلك رجل القبيلة، بأن الطبيعة الإنسانية، بكل ما فيها من خير وبساطة، موجودة بالفعل بعيدا عن عالم المال والتشوهات التي يخلقها في روح الإنسان. وتعمل الرحلة إلى إفريقيا على تنقية روحه وتوجيه رغباته لفعل الخير للآخرين، وحب زوجته وعائلته، وتلقف متعة الوجود دون اهتمام بالمال والجاه والثروة.

بدءاً من الرواية السابقة تشكل بطل سول بيللو النموذجي: الرجل الذي يحس بكونه منفيا ثقافيا، مختلفا عن السياق الاجتماعي الذي يحف به من كل جانب، ولكنه يحاول ما أمكنه التشديد على هويته التي تحميه من فوضى الأفكار والتشديد الوسواسي على النجاح والرفعة الاقتصادية. في روايته «هيرتزوغ» (1964)، يبتكر بيللو شخصية تتصفى من خلالها طبيعة المثقف الأمريكي في ستينيات القرن الماضي. إن هيرتزوغ، على عتبة طلاق ثان (نتيجة خيانة زوجته له مع أعز أصدقائه) وفي اللحظة التي يقرر فيها العدول عن الانتحار، يبدأ في تأمل معنى الوجود الإنساني من خلال كتابة رسائل (لا يرسلها أبدا) إلى أصدقائه وعائلته، وإلى أشخاص مشهورين، من الأحياء والأموات؛ بل إنه يكتب كذلك رسائل يوجهها إلى نفسه ويتساءل فيها عن معنى العيش والوجود والعلاقات بين البشر. وتتركز رسائله، التي تهدف إلى التوصل إلى رسم صورته الشخصية ومحاولة القبض على معنى لحياته، على مشاعره تجاه ماضيه اليهودي، خصوصا أن هيرتزوغ يشعر أنه منغرس تماما في الحياة الثقافية المسيحية. إنه يحفظ تاريخ الغرب المسيحي عن ظهر قلب، كما أنه يتقبل تأملات الفلاسفة وعلماء اللاهوت المسيحيين بوصفها معتقداته الشخصية. وقد تزوج لهذا السبب امرأة مسيحية. لكن الحياة تبدأ فجأة في التدهور والتفكك والانهيار من حوله، ويدخل هيرتزوغ حالة من اللاتوازن والاضطراب النفسي وعدم اليقين، فينطلق للبحث عن نقطة التوازن بين فرديته المعاصرة وميراثه البعيد.

كانت رواية «هيرتزوغ» قد وضعت بيللو على قائمة أكثر الكتّاب مبيعا في أمريكا. لقد أصبح بيللو، الذي بلغ عتبة الخمسين من العمر وقت صدور الرواية، واحدا من أبرز كتّاب أمريكا في نهاية ستينيات القرن الماضي. وفي تلك الأثناء قام الكاتب بتغطية حرب حزيران لمجلة تايم الأمريكية، ولكنه بعد ذلك بسنوات نشر كتابا بعنوان «إلى القدس وبالعكس» (1976)، مركّزاً على تصوير العديد من الشخصيات التي قابلها في العام الفائت لنشر الكتاب، مبتعدا عن توفير جواب للصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهاربا نحو اختباراته النفسية على الشخصيات، بدلا من تقديم قراءة سوسيولوجية لما رآه في رحلته إلى أرض الصراع. لكنه يكتشف في النهاية أن مأساة اليهود توفر معادلا رمزيا للتجربة البشرية في القرن العشرين!

ظل سول بيللو سجين ذاكرته اليهودية في أعماله جميعها، خصوصا تلك الروايات التي أنجزها في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته. في «كوكب السيد ساملر» (1970) يستعيد بيللو حكاية رجل مسن ناج من الكارثة اليهودية، ويتأمل آرثر ساملر، الذي يمثل العالم القديم في مواجهة العالم الجديد، حياة الناس في الجزء العلوي من مدينة نيويورك، مشددا على سقوط الثقافة الغربية وانهيارها وبلوغها هاوية

المادية وجنون المال. لكن تأملات ساملر تضعه في قلب الثقافة المسيحية الغربية التي يعشقها، منفصلا عن ماضيه اليهودي، ومحاولا التأكيد على مثاليات العقيدة الإنسانية التي شكلت فيما مضى العصب الأساسي للحياة الثقافية في أوروبا الشرقية التي نزح عنها ساملر.

في «هدية همبولت» (1975)، يرسم بيللو بورتريهاً شخصياً لصديقه وملهمه الشاعر الأمريكي السكير ديلمور شوارتز. تعالج هذه الرواية، التي تعد من بين أفضل أعماله، العلاقة بين كاتب شاب مسحور بالفن والفنانين (تشارلي سيترين)، وملهمه المجنون فون همبولت فلايشر الذي يرحل باتجاه الشرق للقاء إلهه، ما يجعل الكاتب الشاب ينبهر بالطبيعة الكاريزمية التي يمتلكها الشاعر، ويقيم علاقة صداقة معه. ولا يفترق الكاتب وملهمه إلا بعد نجاح الكاتب الشاب خلال عمله في مسارح برودواي، واتهام همبولت له بسرقة شخصيته في مسرحيته التي يؤلفها الكاتب الشاب (تماما كما فعل بيللو في اتخاذه علاقته بصديقه ديلمور شوارتز موضوعا لروايته هذه). وتركز الرواية حبكتها حول تأملات تشارلي لعالم همبولت وقيمته الحقيقية كفنان ومصدر إلهام، وتصور اليأس وجنون الريبة اللذين يقضيان عليه في النهاية. إن همبولت رغم موته يظل جزءا من ذاكرة تشارلي الذي يكتشف جنون ملهمه فيما بعد؛ لكن الشاعر الملهم يصبح موضوع المسرحية العبثية التي يكتبها تشارلي وتكاد تتحول إلى فيلم سينمائي ناجح. ومع مرور السنوات يتوصل تشارلي إلى أن همبولت كان عبقريا إلى حد الجنون قتلته قصائده التي لم يكتبها. وفي لحظة الاكتشاف تلك، يستطيع تشارلي أن يتعايش مع ذكرياته مع همبولت، متوصلا في بحثه إلى أن ملهمه أساء استخدام موهبته، حيث يعيد دفن جسد همبولت، في إشارة طقسية إلى عبور تشارلي وتحرره من ذكرى همبولت.

ولد بيللو في العاشر من حزيران أو تموز 1915، لوالدين يهوديين مهاجرين من أصل روسي، في بلدة صغيرة في كويبك (كندا)، وعاش سنوات طفولته في شيكاغو، إلينوي، ضمن عائلة تتكلم لغات عديدة (الإنجليزية، الفرنسية، الإيدش، العبرية). كانت العائلة يهودية متعصبة، ومن ثمّ فإن الأجواء التي يستعيدها في رواياته هي أجواء عائلة متدينة إلى درجة الإيمان بالخرافات. تخرج بيللو من جامعة نورثويسترن عام 1937 بتخصص في الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع، ثم التحق بجامعة ويسكونسن التي سرعان ما تركها ليتفرغ لاهتمامه الأساسي، وهو كتابة الرواية والقصة والمسرح. وقد أعال نفسه لمدة أربع سنوات بالعمل مدرساً في كلية المعلمين؛ ثم خدم خلال الحرب العالمية الثانية في البحرية التجارية، وعمل فيما بعد في هيئة التحرير الإضافية في الموسوعة البريطانية.

عام 1947، نشر بيللو روايته الثانية «الضحية»، وعام 1953 روايته «مغامرات أوغي مارتش» التي فازت بجائزة الكتاب الوطني. ظهرت روايته «عش يومك» عام 1956، ثم ظهرت روايته «هيرتزوج» (1964)، و« كوكب السيد ساملر» (1970)، و«هدية همبولت» (1975)، و«معظمهم يموتون بالسكتة القلبية» (1987)، و«الحقيقي» (1996)، و«رافلشتاين» (2000)، إضافة إلى روايات أخرى ومجموعات قصصية وعدد من المسرحيات. فاز بيللو بجائزة بوليتزر عام 1976، و في العام نفسه أصبح سابع أمريكي يفوز بجائزة نوبل للآداب.

توفي بيللو في السادس من نيسان 2005.

فخري صالح/عمّان

مقطع من رواية بيللو

القصيرة «عش يومك»

كان لروبين، الرجل الذي يجلس في كشك بيع الصحف، عينان ضعيفتان. لربما لا تكونان ضعيفتين حقاً لكنهما كانتا ضعيفتي التعبير بغطاءي جفنين يبدوان مخرّمين، ويلتفان إلى أسفل عند زاويتي العينين. كان أنيق المظهر. لم يكن ذلك ضروريا ـ إذ كان يقف وراء النضد طوال الوقت ـ لكنه كان أنيقا بصورة واضحة. كان يرتدي حلة بنية غالية الثمن؛ وكان الكمّان يضايقان الشعر في يديه الصغيرتين. كان يرتدي ربطة عنق من نوع الكونتيسة مارا. حين اقترب ويلهيلم لم يكن روبين قادراً على رؤيته؛ تطلع حالماً باتجاه فندق انسونيا، الذي كان بالإمكان رؤيته من الزاوية التي يقف هو فيها على بعد عدة عمارات. لقد بني انسونيا، وهو معلم مميز مجاور، من قبل ستانفورد وايت. كان يبدو مثل قصر باروكي من قصور براغ أو ميونيخ ازداد حجمه مئات المرات، بأبراج وقباب وفجوات وفقاعات مصنوعة من المعدن الذي تحول إلى اللون الأخضر بسبب كثرة تعرضه للهواء، وزخارف معدنية وفسطونات. كانت أنتينات التلفزيون السوداء اللون مزروعة بكثافة حول قممه المستديرة. وبتأثير التغيرات في الطقس، كان يبدو بلون الرخام أو بلون ماء البحر، أسود بلون الاردواز في الضباب، أبيض مثل حجر التوفة في ضوء الشمس. هذا الصباح بدا بلون ظله المنعكس في المياه العميقة، أبيض ومتقزعا في قسمه العلوي، وتشوهات مسامية الشكل في قسمه السفلي. و معا حدق الرجلان باتجاهه.

قال روبين: «أبوك في الداخل الآن يتناول طعام الإفطار، السيد العجوز».

«آه، نعم؟ لقد سبقني اليوم؟»

«إنه قميص جميل جدا ذلك الذي ترتديه»، قال روبين. «من أين اشتريته، يا ساكس؟»

« إنه من عند جاك فاغمان، من شيكاغو».

حتى في أسوأ حالاته المعنوية، كان ويلهيلم قادراً على أن يجعد جبهته بطريقة تظهره مبتهجاً. كانت حركات وجهه البطيئة الصامتة جذابة جدا. تراجع خطوة إلى الخلف، وكأنه يرغب في أن يقف على مبعدة من نفسه ويحدق مليا في قميصه. كانت النظرة التي ظهرت على وجهه هزلية، تعليقا على الفوضى التي هو فيها. كان يحب أن يرتدي ملابس جيدة ومتسقة، ولكنه بعد أن يكمل ارتداءها كانت كل قطعة تبدو وحدها. ضحك ويلهيلم مما جعله يلهث قليلا؛ وبدت أسنانه صغيرة؛ أما خداه فقد بدوا، عندما ضحك وانتفخ وجهه، مستديرين، وبدا أكثر شبابا من حقيقة عمره. في الأيام الماضية،

□

هذه ترجمة للصفحات 8 ـ 13 من: Saul Bellow، Seize the Day، Penguin Books، Harmondsworth، 1966.

وبينما كان في السنة التحضيرية في الكلية يرتدي معطفا من فرو الراكون، وقبعة على رأسه الأشقر، اعتاد أبوه أن يقول إن رجلاً في مثل حجمه يمكن أن يسحر طائرا على شجرة. وقد ظل ويلهيلم يحتفظ بسحر كبير إلى هذه اللحظة.

«أنا أحب هذا اللون الأبيض ـ الرمادي الذي بلون حمامة»، قال بلهجته الاجتماعية ذات المزاج الحسن. «ليس بإمكانك غسله. عليك أن ترسله إلى المغسلة. إن رائحته تغدو جميلة لدى غسله. لكنه قميص جيد. إنه يكلف ستة عشر أو ثمانية عشر دولارا».

لم يكن ويلهيلم هو من اشترى القميص؛ كان هدية من مسؤوله ـ مسؤوله السابق، الذي تشاجر معه. لكن لم يكن هناك أي سبب يدفعه الى إخبار روبين بتاريخ القميص. رغم ذلك فليس بعيدا أن يكون روبين قد عرف ـ كان روبين من النوع الذي يعرف ويعرف ويعرف، أما ويلهيلم فكان هو أيضا يعرف أشياء كثيرة عن روبين، عن زوجة روبين وعمله، وصحته. ولم يكن أي منهما يتفوه بشيء واحد من هذه الأشياء.

«حسنا، إنك تبدو أنيقا جدا هذا اليوم»، قال روبين.

قال ويلهيلم بسعادة، «حقا؟ هل تعتقد ذلك حقا؟» لم يستطع أن يصدق ذلك. رأى انعكاس صورته في الخزانة الزجاجية الممتلئة بعلب السيجار، بين صور الرجال المشهورين المرسومة على ورق الدمقس، المختومة بأختام كبيرة والمزخرفة بماء الذهب، غارسيا، إدوارد السابع، سايرَس العظيم. كان عليه أن يقر بما تفعله العتمة والتشوهات التي يحدثها الزجاج، لكنه اعتقد أن صورته المنعكسة في الزجاج لم تكن حسنة المنظر. كانت تجعيدة كبيرة، تشبه قوسا كبيرا مفتوحا، مرسومة على جبهته في تلك النقطة التي تقع ما بين حاجبيه، كما كان هناك بقع بنية اللون على بشرته الشقراء الغامقة. بدا وكأنه شعر بالتسلية قليلا إذ شاهد ظل عينيه المندهشتين، المرتبكتين، الراغبتين، وفتحتي أنفه، وشفتيه. فرس نهر بشعر أشقر! ـ هكذا تصور نفسه. لقد رأى وجهاً كبيراً مستديرا، فماً احمر واسعا مزدهرا، وأسنانا مشذّبة. وتلك القبعة أيضا؛ والسيجار كذلك. قال لنفسه: كان عليّ أن أعمل عملا شاقا طيلة حياتي، عملا شاقا فعلا يجلب إلى جسدك التعب، ويجعلك تخلد إلى النوم سريعا. أتمنى لو أنني استنفدت طاقتي وبدأت أشعر بأنني أحسن. لكن بدلا من ذلك، كان عليّ أن أتعرّف على نفسي ـ قبل ذلك كله.

كان قد بذل الكثير من الجهد، لكن ذلك لم يكن بديلا للعمل الشاق، هل كان كذلك فعلا؟ وإذا كان كشاب قد بدأ بداية سيئة، فقد كان ذلك بسبب هذا الوجه نفسه. في سنوات الثلاثينيات، وبسبب ملامحه المدهشة، كان يعد شخصا مناسبا ليصبح نجماً، ولهذا توجه إلى هوليوود. حاول بعناد ولمدة سبع سنوات أن يصبح من نجوم الشاشة. لكن قبل ذلك بوقت طويل كان طموحه، أو وهمه، قد انتهى ولكن بسبب من الكبرياء والفخر، ولربما بسبب الكسل. ومع ذلك ظل مقيما في كاليفورنيا. في النهاية تحول إلى أشياء أخرى، لكن هذه السنوات السبع من الإصرار والمثابرة والهزيمة جعلته غير مناسب للتجارة والأعمال، وهكذا أصبح الوقت متأخرا للبدء بواحد من هذه الأعمال. كان بطيء النضج، كما أنه فقد اعتباره، ولهذا لم يستطع التخلص من الطاقة التي يمتلكها والتي أقنع نفسه أنها سببت له الكثير من الأذى.

« لم أرك في لعبة الجن«1» الليلة الماضية»، قال روبين.

---

1. الجن: لعبة ورق.

« لقد فاتتني . كيف كانت؟» .

طيلة الأسابيع الماضية لعب ويلهيلم الجن كل ليلة تقريبا، لكنه شعر البارحة أنه لن يستطيع الخسارة مرة أخرى . لم يربح أبدا . ولو لمرة واحدة . ورغم أن الخسارات لم تكن كبيرة لكن المهم أنها لم تكن ربحاً، أليس كذلك؟ لقد كانت خسارات . كان قد تعب من الخسارة، وتعب أيضا من الصحبة، ولذلك ذهب وحده إلى السينما .

« آه»، قال روبين، « لقد كانت اللعبة جيدة . لقد جعل كارل من نفسه أضحوكة وأخذ يصرخ على الشباب . هذه المرة لم يتركه الدكتور تامكين ينفذ بجلده . وقد أخبره عن السبب النفسي لذلك» .

« ماذا كان السبب؟» .

قال روبين : «لا أستطيع استعادة ما قال . ثمّ من لديه القدرة على تذكر ما قاله؟ أنت تعرف الطريقة التي يتحدث بها تامكين . لا تسألني عن ذلك . هل تريد الهيرالد تريبيون؟ هل تريد أن تلقي نظرة على أسعار إغلاق الأسهم؟» .

«ليست لديّ رغبة كبيرة في ذلك . أعرف ما كانت عليه أسعار الإغلاق في الساعة الثالثة البارحة»، قال ويلهيلم . « لكنني أفترض أن من الأفضل أن آخذ الصحيفة» . كان يبدو ضروريا بالنسبة له أن يرفع واحدا من كتفيه لكي يضع يده في جيب معطفه . وهناك، بين الأقراص وبقايا السجائر المسحوقة وخيطان السيلوفان وأشرطة الرَزم التي كان يستعملها أحيانا لتنظيف أسنانه، تذكر أنه قد أسقط بعض القروش .

«لا يبدو هذا شيئا جيدا»، قال روبين . أراد أن يكون صوته مازحا، ولكنه لم يطاوعه فيما استدارت عيناه، اللتان كانتا مرتخيتين تشبهان عيني الأعمى، في اتجاه آخر . كان الأمر سيان بالنسبة له . لربما يكون قد عرف، إذ إنه من النوع الذي يعرف، ويعرف .

لا، لم يكن ذلك جيدا . لقد اشترى ويلهيلم ثلاث دفعات من شحم الخنزير بسعر السوق . اشترى هو والدكتور تامكين هذا الشحم بسعر 96ر 12 قبل أربعة أيام، وبدأ السعر بعدها بالانخفاض وما زال مستمرا بالانخفاض . في البريد هذا الصباح لا شك أنه سيجد دعوة لتمويل إضافي على الهامش .

الطبيب النفسي، الدكتور تامكين، ورطه بذلك . كان الدكتور تامكين يسكن في غلوريانا ويشارك في لعب الورق . وقد شرح لويلهيلم أن باستطاعته أن يضارب على السلع في بعض فروع الشركات الجيدة في وول ستريت في أعلى البلدة دون أن يكون مضطرا لدفع المبلغ المطلوب إيداعه على الهامش . ذلك يعتمد على مدير الفرع إذا كان يعرفك ـ وقد كان كل مدراء الفروع يعرفون تامكين ـ وسوف يسمح لك عندها أن تعقد صفقات لمدة زمنية قصيرة تحتاج بموجبها أن تفتح حسابا صغيرا فقط .

« السر الكامن في هذه المضاربات»، أخبره الدكتور تامكين، «هو أن يكون المر ء متيقظاً . عليك أن تتصرف بسرعة ـ أن تشتريه وتبيعه؛ بعه واشتره ثانية . لكن بسرعة! تقدم باتجاه النافذة ودعهم يتصلون بشيكاغو في اللحظة المناسبة . ضارب وضارب مرة بعد مرة! ثم اخرج من العملية في اليوم نفسه . في وقت قصير سوف تبيع من السلع ما قيمته خمسة عشر ألفا، عشرون ألفا من الدولارات ثمنا لفول الصويا والقهوة والذرة والجلد المدبوغ والقمح والقطن» . كان من الواضح أن الدكتور يفهم السوق جيدا، وإلا لما كان قادرا على جعل الأمر يبدو بسيطا للغاية . «يخسر الناس لأنهم طماعون ولا يستطيعون أن يبيعوا عندما تبدأ الاسعار بالارتفاع . إنهم يقامرون، ولكنني أفعل ذلك بطريقة علمية . ليست المسألة مجرد تحزير . عليك أن تربح بعض النقاط ثم تبيع . لِم أيتها الآلهة!» قال الدكتور تامكين بعينيه الجاحظتين

ورأسه الأصلع وشفته المتدلية. «هل سألت نفسك مرة كم يكسب رجال المال في السوق؟».

قال ويلهيلم وقد تغيرت ملامحه العابسة، وضحك ضحكة لاهثة غيّرت معالم وجهه تماما: «ها ها، هل فكرت بذلك حقا! ماذا تظنني؟ من منا لايعرف أنها تبدأ بألف ـ وتسع مائة ـ وثمانية ـ وعشرين ـ ثم ألف وتسع مائة ـ وتسعة وعشرين، ثم تبدأ في الصعود منذ ذلك الوقت؟ من منا لم يقرأ تقرير فولبرايت؟ هناك مال في كل مكان. كل واحد يجرف المال بالمجرفة. المال هو ـ هو».

«إذن هل تستطيع أن تجلس مرتاحا ـ هل تستطيع أن تفعل ذلك وكل هذا يحصل؟» قال الدكتور تامكين. «أنا أعترف لك بأنني لا أستطيع. أنا أظن بأن الناس ولأنهم يملكون بعض الدولارات التي قاموا بتوفيرها يستطيعون أن يحققوا أرباحا. ليس لديهم أية فكرة، ليس لديهم أية موهبة. إن لديهم مالا زائدا وهذا المال يجرّ لهم مالاً آخر. إن ذلك يثير مشاعري ويعذبني ويجعلني قلقا، قلقا للغاية! لم أستطع حتى أن أمارس مهنتي. فبهذا المال كله حولك أنت لا تريد أن تكون غبيا، فكل الناس من حولك يكسبون. أعرف أشخاصا يكسبون خمسة، عشرة آلاف دولار في الأسبوع بمجرد تسكعهم هنا وهناك. أعرف شخصا في فندق بيير. إنه لا يلفت الانتباه، ولكنه يطلب صندوقا كاملا من شمبانيا «مَم» على الغداء. أعرف شخصا آخر في فندق سنترال بارك ساوث ـ لكن ما فائدة الحديث. إنهم يكسبون ملايين. إن لديهم محامين أذكياء يجعلونهم قادرين على التهرب من الضرائب بمليون طريقة».

ترجمة: ف. ص